



دور الأخلاق المحمدية في تحكيم مباني الوحدة الإسلامية





الجوار، والاحترام المتبادل.
٤. وحدة البلد: فإن الدائرة الرابعة التي تخلفها الأمواج، هي وحدة البلد الصغير - كالقرى - والكبير - كالمحافظات - وتبرز وحدتهم في مثل الدوائر الحكومية المركزية.
٥. وحدة الدولة: وهي الدائرة الخامسة، فإن الدولة في قرارها الأخير لا بد أن تتوحد في قواها الثلاثة - المقتننة والتنفيذية والقضائية - وتتولد منها الوحدة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية، فلو كانت القوى في نهاية التصميم متضاربة ومختلفة، فإنه يوجب انهيار الدولة وسقوطها، فلا بد من الوحدة والتماسك في قرارها الأخير، وإن كانت مختلفة الآراء والأنظار في بدايتها وفي مقام التفاوض، فإنه - بحكم العقل والنقل - لا بد من الاختلاف في الآراء والأفكار والأذواق والسلوكيات الفردية، ولا سيما عند المشورة في المجلس البرلماني، حتى يُنال الرأي الصائب والقرار الأخير، وحينئذ كل القوى تحكمها وحدة الدولة، وإلا لو كانت سياسة واحدة من البداية، واتحد السياسيون من دون تبادل الآراء والأفكار لما وصلوا إلى ما هو الأفضل والطريق الأصوب والسياسة الفاضلة النافعة للدولة والأمة، ولتحجروا وكانوا عرضة لعواصف الحوادث، فينبأ المجتمع ويزول، وكذلك في الثقافة وفي كل مجالات الحياة. فالاختلاف

كان له أبعاد مختلفة، فإن اختلافه كاختلاف النور، فهو واحد في حقيقته ومفهومه، بمعنى: الظاهر بنفسه والمظهر لغيره، إلا أنه كلي مشكك، له مراتب طولية وعرضية، فلا اختلاف بين نور الشمس ونور الشمعة في مفهومهما وحقيقتهما النورية، وإن كان التفاوت بينهما ما بين الثرى والثريا، وما بين السماء والأرض.
٢. الوحدة الأسروية: فإنه إذا توسع عندنا مفهوم الوحدة، فقد تتكون لنا الدائرة الثانية من أمواج الوحدة، وهي حكومة الوحدة في الأسرة التي هي الخلية الأولى للمجتمع، فلا بد من وحدة أعضاء الأسرة وسيادة وحدة الاعتصام والتماسك بين الأفراد، لتفوز في تديرها وبرنامجهما العائلي وتربيتها، وإلا فإنها تبوء بالفشل والانهيار والتنافر، ومن ثم الطلاق وتشتت العائلة وضياعها، فوحدة الأسرة عامل مهم لضمانها وصيانتها وسعادتها.
٣. وحدة الجورة: فإن الدائرة الثالثة المنعكسة من أمواج الوحدة هي الوحدة بين الجيران والمحلة، ويتجلى مفهومها في مثل انتخاب شوري المحلة، وبناء مسجدها ومدارسها، وما شابه ذلك. وإن الجوار إلى أربعين دار من الأطراف الأربعة - كما في الروايات الإسلامية - وتتكون عندنا الخلية الثانية للمجتمع، فكل واحد عليه أن يتحد مع جاره في قضاياهما المشتركة، بحسن التفاهم وحفظ حقوق

إن الماء العذب هو العامل الأساسي والأصل الأول والعنصر الأهم للعالم الجسماني والحياة الطبيعية وديموميتها واستمرارها، كما في قوله تعالى:
﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ [١].
وإن الأخلاق الطيبة هي العامل الأول والأصل المهم في المجتمع الإنساني والتعايش السلمي، المتبلور في الوحدة الإنسانية، التي هي انشودة الشعوب الحرة، ومقصود كل مصلح عبر التاريخ، وعلى مر العصور والأحقاب. والوحدة - ويقابلها الإختلاف والشقاق والتنافر، كما يقابلها الاتينية والكثرة - ذات مفهوم وسيع متشعب الأطراف ومترامي الجوانب، يضم بين دفتيه مضامين متفاوتة وتقاسيم متعددة، فهي كالجبر الملقى في الماء، تتكسر منه الأمواج دائرية الشكل، مختلفة الأقطار، متسعة الأطراف، يمكن أن نلخصها بما يلي:
١. الوحدة الفردية: فالولى الدوائر وبدايتها هي الوحدة الفردية الشخصية بأن يكون الإنسان منسجم الشخصية، من دون تلون وشخصيات مذمبة ومنافقة، تارة إلى هؤلاء وأخرى إلى أولئك، الذي يُعبّر عنه في المصطلح الإسلامي بالمنفاق، وفي علم النفس بالإنسان ذي الشخصية المزودجة. فكل فرد في المجتمع الإنساني والإسلامي لا بد أن يكون واحدا في شخصيته، كما هو واحد في شخصه، وإن

المصدر: دار الولاية للثقافة و الإعلام

[١] الأنبياء: ٣٠.

[٢] هود: ١٠٨.

[٣] هود: ١٠٦.

[٤] العلق: ٦.

[٥] وهذه غير وحدة الوجود التي يقولها بعض المتصوفة والحكماء، على أن الخلق حباب البحر، في النهاية يرجع إلى بحر الوجود الربوبي الذاتي، فيتحد معه عز وجل، حتى يقول زاعمهم: أنا الحق وليس في جنتي إلا الله، الذي يستلزم الكفر على بعض الوجوه، كما هو ثابت في محله.

[٦] البقرة: ٢٠١.

معنى الجنة ونعيمها، فإن الدنيا سجن قياساً بنعيم الآخرة، وإلا فهي جنة صغيرة تهون فيها المصائب والمتاعب، إذ أنها بعين الله سبحانه، ويحس المؤمن أنه في حضرة الله جل جلاله، فيصبر صبر الشاكرين، فإنه يشكر الله على البلاء، ويعتقد أن أكثر الناس بلاءً أكثرهم ولاءً. ويمثل هذه المفاهيم نعتقد بالوحدة بين الدنيا والآخرة، ونعبر عنها - إن صح التعبير - بالوحدة الإلهية [٥]، فإن الإنسان المؤمن الخالص في سلوكه وتفكره هذا، يكون في إطار إلهي، ومن حزب الله الغالب، ويستثمر دنياه لآخرفته: كما ورد في القرآن الكريم.

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [٦].

«وليس منا من ترك دنياه لآخرفته وآخرتها لدنياه» كما ورد في الخبر الشريف. ونا بالإيمان خير جزائك...».

في البداية، والوحدة في النهاية، وهذا المعنى حاكم على الكون أيضاً كما سيوضح. ٦. وحدة القارات: أو العالم الأرضي، فإن لكل قارة مناخها وطبيعتها وثقافتها الخاصة، إلا أن هناك مشتركات عالمية تستلزم وحدة الناس في الكرة الأرضية، فلو دهم الأرض خطر فإن الشعوب كلها تتحد في دفع الخطر، فلا تمنعها الحدود الجغرافية، كخطر الإيدز في عصرنا الراهن، فإن سكان الأرض في غربها وشرقها وشمالها وجنوبها، لا بد أن يتحدوا وإن اختلفت الألوان والألسن والجنسيات والحدود والثقافات، وهذه الوحدة العالمية لها معالم وثقافة عالمية تضم المجتمع الإنساني والبشرية جمعاء في إطار واحد، ومن معالمها وحدة المستضعفين لمحاربة الاستعمار، والتخلص من ذل الاستعباد والاستثمار والاستعمار، ومن معالمها وحدة النضال والجهاد لرفع الفتنة في العالم.

٧. وحدة الدنيا والآخرة: وهذه من المعتقدات الإسلامية، فإن الإسلام العظيم دين الله القويم، يقول يمثل هذه الوحدة، فإن الحياة عنده واحدة، بدايتها: حياة الله، ونهايتها: إلى الله المنتهى، وإنما الدنيا مزرعة الآخرة، و متجر أولياء الله، فإنهم في هذه الدنيا في قوس نزولي وصعودي يصلون إلى ولاية الله سبحانه، كما ورد في الأخبار الشريفة. وإنما الموت رحلة ونقلة من حياة إلى حياة أبدية خالدة، إما أن يسعد فيها أو يشقى:

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ﴾ [٢].

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ﴾ [٣].

فالدنيا والآخرة وإن كانتا على طريفي نقبض، كما في بعض الروايات والآيات الشريفة، على أنه من أراد حرث الدنيا يفقد حرث الآخرة، ومن أراد الآخرة فإنه يزهد في الدنيا، ولكن هذا التناقض والتنافي: لو يرى الإنسان إلى الدنيا ويقصدها على نحو الاستقلال وبالمعنى الإسمي:

﴿لِيَطْغَى أَنْ رَأَهُ اسْتَغْنَى﴾ [٤].

وأما إذا نظر إليها باعتبارها الحرثي والتبعية، وأنها مزرعة الآخرة ومتجرها، فإنها تكون نقطة انطلاق إلى نعيم الآخرة وخلودها، ولازم هذا المفهوم وهذه النظرة، هو الوحدة بين الدنيا والآخرة، فإن المؤمن دنياه آخرفته وآخرفته دنياه، وإن كانت الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، ولكن من زار مؤمناً في دنياه فقد زار الله في عرشه - كما ورد في الخبر الشريف - وهذا يعني أن جلوس المؤمن عند أخيه المؤمن، إنما هو في حضرة القدس الإلهي، وهل هذا إلا

